إسكات أميركا فيما تستعدّ للحرب

ترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

كتب جون بيلجر في مدوّنته:

إنها الولايات المتحدة الأميركية في سنة الانتخابات... كم يذهلني هذا الصمت المدوّي. غطيتُ أربع حملات انتخابية، منذ عام 1968؛ كنتُ مع روبرت كنيدي لحظة اغتياله ورأيتُ قاتله يتحضّر لإغتياله. كان ذلك أشبه بتعميدٍ على الطريقة الأميركية، جنباً إلى جنب مع أعمال عنف معيبّة كانت تعبّر عن نفسها في ممارسات شرطة شيكاغو بعد توقيع اتفاقية مزوّرة للحزب الديمقراطي... بدأت الثورة الكبيرة المضادّة.

كان مارتن لوثر كينغ هو أول من تعرّض للاغتيال تلك السنة، فهو من تجرّأ على ربط معاناة الأفارقة الأميركيين بشعب فييتنام. وعندما أنشدت المغنية الشهيرة جانيس جوبلين، كلمات أغنياتها الباحثة دوماً عن الحرية والعدالة والمساواة، كانت تعبّر بطريقة لاواعية عن ملايين الضحايا الأميركيين في أماكن بعيدة.

«خسرنا أكثر من 58000 جنديّ شاب في فييتنام، سقطوا دفاعاً عن الحرية. ولا يمكنكم أن تنسوا هذا الآن». هذا جزءٌ مما قيل أيضاً في منتزه الخدمات الوطنية أمام نصب لنكولن التذكاري في واشنطن أثناء تغطيتي إحدى الحفلات المدرسية للمراهقين الشباب الذين يرتدون القمصان البرتقالية الفاتحة. كما لو أن الحقائق قُلبت، كما لو أن كلّ الحقائق حول فييتنام أُحيلت إلى أكاذيب.

أما ملايين الفييتناميين الذي قتلوا وشُوّهوا وتسمّموا وحُرموا بسبب الغزو الأميركي، فلا مكان لهم في عقول الناشئة، ناهيك عن الـ 60000 من قدامى المحاربين الذين تولّوا زمام خطف حياة أولئك. ولطالما سألني أحد أصدقائي، وكان أحد جنود مشاة البحرية وأصيب بالشلل في فييتنام: «إلى جانب من كنتَ تحارب؟».

ومنذ بضع سنوات، حضرتُ معرضاً شعبياً بعنوان «ثمن الحرية» في مؤسسة سميثسونيان الموقرة في واشنطن. يصطفّ عددٌ من الناس العاديين، معظمهم من الأطفال في مغارة سانتا غروتو، وهناك أمعنوا في تحريف الحقائق، والاستغناء عن مجموعة متنوعة من الأكاذيب: أنقذت القنابل النووية على هيروشيما وناغازاكي «حياة الملايين»؛ حُرّر العراق «بسبب دقة الضربات الجوية بشكل لم يسبق له مثيل». الموضوع كان بطولياً بامتياز: فالأميركيون فقط هم من يدفع ثمن الحرية.

الحملة الانتخابية عام 2016 جاءت لافتة للنظر بسبب صعود نجم دونالد ترامب وبيرين ساندرز، وكذلك بسبب استمرار الصمت المذهل حيال ذلك الحق اللاهوتي المقدّس للإجرام والقتل. مهّد ثلث أعضاء الأمم المتحدة وصول واشنطن إلى ما تطمح اليه، من قلب للحكومات، وتقويض للديمقراطية، وفرض الحصار والمقاطعة. ومعظم الرؤساء المسؤولين عن حصول ذلك هم ليبراليون كمثل ترومان، كنيدي، جونسون، كارتر، كلينتون، وأوباما.

أما سجل الغدر الخاطف للأنفاس في ذهن الجمهور، فقد خطّه الكاتب الراحل هارولد بينتر، بالقول: «لقد تأكد لي يوماً بعد يوم، أن الماضي ليس ماضياً، وأنه لم يكن يوماً كذلك، إنه الحاضر بعينه». وهذا ما عبّر عنه بينتر بإعجاب وهميّ ساخر عندما وصفه بـ«التلاعب السريريّ الهادئ للسلطة في جميع أنحاء العالم والتنكر للقوة من أجل مصلحة الخير العام. إنها خطة عمل للتنويم المغناطيسيّ رائعة، ناجحة، وحتى بارعة للغاية».

ولنأخذ أوباما مثالاً على ذلك. فبينما هو يتحضر لمغادرة مكاتب البيت الأبيض، بدأ التملّق يتغلغل في كلّ مكان. يبدو «بارداً». غير أنه أحد أكثر الرؤساء عنفاً، فقد استطاع أوباما فرض سيطرته الكاملة على جهاز صنع الحرب في البنتاغون الذي وضعه أسلافه. قام بالادّعاء على المزيد من المخبرين أكثر من أيّ رئيس سبقه. أعلن أن تشيلسي مانينغ، وهي جندية في استخبارات القوات البريّة الأميركية، متهمة حتى قبل أن تتمّ محاكمتها. وهو يدير اليوم حملةً عالميةً غير مسبوقة ضدّ الإرهاب وضدّ القتل الذي تمارسه الطائرات من دون طيّار.

وعد أوباما بتقديم المساعدة عام 2009، بهدف «تخليص العالم من الأسلحة النووية»، وحصل على جائزة نوبل للسلام. لم تُبنَ الرؤوس النووية في عهد أيّ رئيس أميركي أكثر من تلك التي بُنيت في عهد أوباما. فهو عمل على «تحديث» ترسانة يوم القيامة الأميركية، بما فيها أسلحة «ميني» النووية، الحديثة في التكنولوجيا والذكية في الحجم، والتي يؤكد أحد الجنرالات أن استخدامها لم يعُد وارداً.

ويقول جايمس برادلي، وهو مؤلف الكتاب الأكثر مبيعاً «رايات آبائنا» وابنٌ لأحد جنود البحرية الذي رفع العلم على أكبر الجزر اليابانية آيوو جيما عام 1945، «إن الأسطورة الأعظم التي نشهدها اليوم، هي المسرحية التي يجسدها أوباما باعتباره ذلك الرجل السلميّ الذي يحاول التخلص من الأسلحة النووية. إنه في الحقيقة، أكبر محارب نوويّ عرفناه. وهو من ورّطنا في دروس تدميرية أنفق فيها بليون دولار على أسلحة نووية أكثر تطوراً. بطريقة أو بأخرى، يعيش الناس هذا الوهم بسبب الأخبار الصحفية المضلّلة والخطابات والصور التذكارية، التي تعطي شعوراً جيداً لهذه السياسة المنتهجة. غير أن الواقع ليس كذلك.

ووفقاً لساعة أوباما، فإن حرباً باردة ثانية تقوم بشكل واضح. فالرئيس الروسي هو الشرير الذي يتقن فنّ التمثيل الإيمانيّ؛ وبما أن الصينيين ـ وبعد حظر دخولهم إلى الولايات المتحدة الأميركية ـ ليسوا على استعداد للعب الدور الكاريكاتيري للخنزير، فلا يزال محاربو وسائل الإعلام يعملون على إعادة لملمة هذه المسألة.

لم يتطرّق أيّ من هيلاري كلينتون أو بيرني ساندرز إلى هذا. فما من خطر حقيقي محدق بالولايات المتحدة أو بأيّ أحد منا. أما بالنسبة إليهم، فإن الحشد العسكري الأكبر على الحدود الروسية منذ الحرب العالمية الثانية لم يحدث بعد. وفي 11 أيار، سمحت رومانيا «على الهواء مباشرة» أن يعلن الناتو تحضير «قاعدته الدفاعية الصاروخية» التي تهدف إلى توجيه الضربات الصاروخية الأميركية إلى قلب روسيا، ثاني أكبر قوة نووية في العالم.

أما في آسيا، فها هو البنتاغون يرسل سفنه، طائراته وقواته الخاصة إلى الفيليبين لتهديد الصين. فالولايات المتحدة الأميركية، تطوّق الصين بشكل فعليّ بمئات القواعد العسكرية الممتدّة على شكل قوس من أستراليا، إلى آسيا، مروراً بأفغانستان. وهذا ما يسميه أوباما بـ«المحور».

وكنتيجة مباشرة، أعلنت الصين عن تغيير سياساتها النووية، من حالة «عدم الاستخدام»، إلى حالة التأهب القصوى، مجهّزةً غواصات الأسلحة النووية. المصعد يتسارع باطراد.

وها هي هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية الأميركية، ترفع عام 2010، سقف المطالبات الإقليمية المتنافسة على الصخور والشعاب المرجانية في بحر الصين الجنوبي، وتحوّلها إلى قضية دولية؛ وما لبث ان استُتبع ذلك بحملات إعلامية هستيرية أطلقتها كل من «CNN» و«BBC»: تبني الصين مهابط لطائراتها على جزر متنازع عليها. وفي لعبتها الحربية الضخمة عام 2015، مارست الولايات المتحدة الأميركية خلال عملية «تاليسبان سيبر»، خنقاً فعلياً عبر مضيق ملقا الذي يعتبر الممرّ الرئيس لمعظم الصفقات النفطية والتجارية في الصين. ولم تكن تلك أخباراً للنشر آنذاك.

وكانت كلينتون قد أعلنت أن أميركا لديها «مصلحة قومية» في المياه الآسيوية. فقد شجعت كلّ من الفيليبين وفييتنام ورشتهما بالمال في مقابل رفع سقف مطالبهم وسياساتهم العدائية تجاه الصين. وفي أميركا، يتمّ قولبة عقول الناس على اعتبار أن الوقوف في موقف دفاعيّ عن أيّ صينيّ، أمر مهين ومذل، لذا، فإن الأرض قد أصبحت خصبة ومهيأة للعداوة والتصعيد. استراتيجية مماثلة من الدعاية والاستفزاز تُتّبع حالياً ضدّ روسيا.

أما كلينتون، «المرآة المرشحة»، فهي تخلّف وراءها عدداً من الانقلابات الدموية: في هندوراس، وليبيا (فضلاً عن مقتل الرئيس الليبيّ) وكذلك أوكرانيا. وهذه الأخيرة هي الآن مرتعٌ لوكالة الاستخبارات الأميركية المحتشدة مع أعداد كبيرة من النازيين على خطوط المواجهة في حرب قد تعود رحاها لتدور مع روسيا. من نفس المكان الذي غزا فيه هتلر النازي الاتحاد السوفياتي الذي تكبّد خسارة 27 مليون نسمة خلال الحرب. فلا تزال هذه الكارثة الملحمية حاضرة في أذهان الروس. حصلت حملة كلينتون الانتخابية للرئاسة على أموال داعمة من الجميع، منها واحدة من أكبر شركات الأسلحة في العالم. إنه رقمٌ لم يقترب منه أيّ مرشح رئاسيّ آخر.

بينما نجد أن ساندرز الذي لا يختلف في أمنياته تجاه الأميركيين عن تلك التي ترجوها كلينتون لهم، في شأن ملكية العالم خارج حدود الولايات المتحدة الأميركية. فهو من أولئك الذين أيّدوا قصف كلينتون غير الشرعي لصربيا. ويدعم محاربة أوباما لإرهاب الطائرات من دون طيّار، واستفزاز روسيا وعودة القوات الخاصة (فرق الموت) إلى العراق. لا يملك أن يقول شيئاً في ما خصّ قرع طبول التهديدات في الصين وتسارع خطر الحرب النووية. كما وافق على ضرورة محاكمة إدوارد سنودن وهو العميل السابق في وكالة الاستخبارات الأميركية الذي قام بتسريب تفاصيل برنامج «PRISM» للتجسّس إلى الصحافيين، وشبّهه بهوغو تشافيز، «الدكتاتور الشيوعي المتوفي». ووعد أيضاً بدعم كلينتون إن هي ترشحت إلى الانتخابات.

إن انتخاب أيّ من ترامب أو كلينتون يخضع لذلك الوهم القديم من أن الناخبين لا يملكون أيّ خيار: فالإثنان وجهان لعملة واحدة. وفي معرضٍ تضحيته بالأقليات ووعده أن تكون «أميركا عظيمة مجدداً»، فإن ترامب ينتمي إلى اليمين الشعبوي المتطرف؛ إلا أن خطر كلينتون قد يكون أشدّ فتكاً على العالم.

«وحده دونالد ترامب يستطيع انتقاد أمور وقول أخرى ذات معنى حيال السياسة الخارجية»، هذا ما قاله ستيفن كوهين، الأستاذ الفخري للتاريخ الروسي في جامعة برنستون وجامعة نيويورك، وأحد الخبراء الروس القلّة في الولايات المتحدة الأميركية ممن يتحدثون عن خطر الحرب.

وفي مقابلة إذاعية، أشار كوهين إلى بعض الأسئلة الحرجة التي كان ترامب قد أثارها. ومن بينها: لِمَ نرى الولايات المتحدة الأميركية في كلّ مكان على الأرض؟ ما هي مهمة حلف شمال الطلسي الحقيقية؟ لِمَ تسعى الولايات المتحدة الأميركية دوماً إلى تغيير النظام في العراق، سورية، ليبيا، أوكرانيا؟ لمَ تصرّ الولايات المتحدة الأميركية على معاملة روسيا وفلاديمير بوتين معاملة الأعداء؟

إن الهستيريا الحاصلة في الوسائل الإعلامية الليبرالية حول تصريحات ترامب، تخدم وهم قيام «الحوار الحرّ والمفتوح» و«تفعيل الديمقراطية». فوجهات نظره المتعلّقة بالمهاجرين والمسلمين بشعة للغاية، ومع ذلك، فإن المحارب الحقيقي للمستضعفين الأميركيين هو أوباما لا ترامب، الوارث والمتخصص في خيانة لونه وشعبه: كمثل تكديسه للسود في السجون، التي تحوي حالياً أكثر مما حوَت معسكرات العمل الستالينية.

قد لا تكون الحملة الانتخابية الرئاسية معنيّةً بالشعبوية، بل بالليبرالية الأميركية، وهي عبارة عن إيديولوجيا عقائدية، ترى إلى نفسها على أنها حديثة وبالتالي متفوقة وتسير على الطريق الصحيح. تلك العقيدة اليمينية الشبيهة إلى حدّ كبير بالإمبريالية المسيحية التي شهدها القرن التاسع عشر، والتي تصرّ على أن القهر أو الاستمالة أو التحويل، إنما هو واجبٌ آلهيّ.

وفي بريطانيا، ها نحن نقف أمام البليريّة. إنه مجرم الحرب المسيحي توني بلير الذي تمكّن من النفاذ بمشروعه السريّ لغزو العراق، لأنه استطاع إخضاع الطبقة السياسية الليبرالية ووسائل الإعلام لـ«بريطانيته الباردة والهادئة». وجاء التصفيق في صحيفة «غارديان» البريطانية يصمّ الآذان؛ فقد لقّب بـ«الصوفيّ». وهو إلهاء معروف في مجال الهويات السياسية، مستوردٌ بدقة وعناية من الولايات المتحدة الأميركية، استراح بلير بسهولة في مرتعه.

أُعلنت نهاية التاريخ، ألغيت الطبقات الاجتماعية عُزّزت المثلية الجنسية بوصفها أنثوية؛ انضمّ عدد من النساء إلى صفوف حزب العمّال، صوّتوا في البرلمان لصالح خفض الفوائد على الأهل العازبين، ومعظمهم من النساء، وذلك وفقاً للتعليمات. كما صوّتت غالبية هذه النساء على غزو العراق الذي خلّف أكثر من 700.000 أرملة عراقية!

ومن يعادل هؤلاء في الولايات المتحدة الأميركية، هم دعاة الحرب السياسية الصحيحة في صحفية «نيويورك تايمز»، «واشنطن بوست» وشبكة التلفزيون، أي الذين يهيمنون على النقاش السياسي هناك. وقد سنحت لي الفرصة لمتابعة إحدى هذه الجدالات على شبكة «CNN» حول خيانات ترامب. وبدا واضحاً، حسبما قالوا، أن شخصاً كهذا لا يمكن الوثوق به كرئيس قد يصل إلى البيت الأبيض. لم تُثر أيّ قضية من هذه القضايا. ولا حتى أحد من الأميركيين الذين انخفض مدخولهم بمعدّل 80 في المئة، منهاراً إلى المستوى الذي كانوا يجنونه خلال السبعينات. ما من شيء يجرفهم نحو الحرب. إذ يبدو أن الحكمة تكمن في التصويت لكلينتون؛ أيّ كان ما عدا ترامب. وبهذه الطريقة، نستطيع إيقاف الوحش، ونحافظ في الوقت عينه على نظام الإسكات لحرب أخرى مقبلة.

قاعدة عسكرية أميركية في أوروبا

أوباما

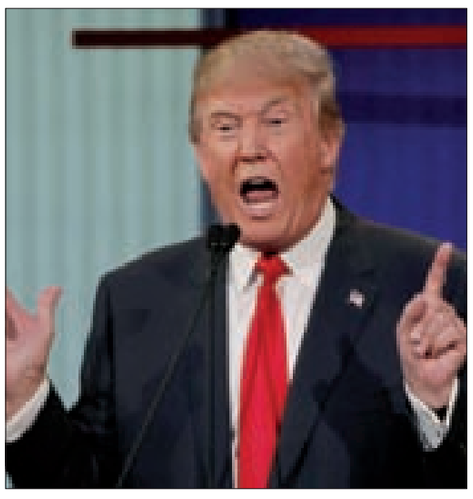

ترامب

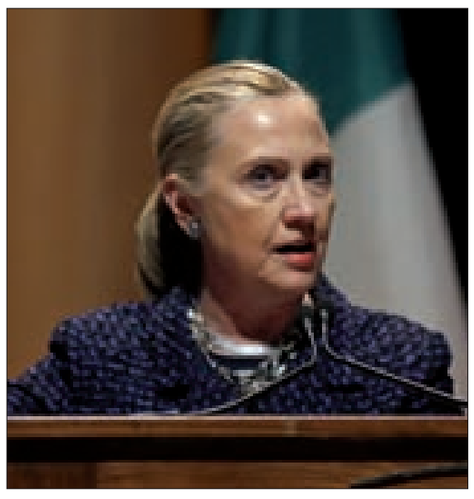

كلينتون

السوريون يكرّمون أُسَر الشهداء في طرطوس والقنيطرة

طرطوس

القنيطرة

وفاءً لدماء أبنائهم الطاهرة التي رووا بها تراب سورية، كرّمت فاعليات سورية، عدداً من أُسَر شهداء الجيش السوري، في طرطوس والقنيطرة.

طرطوس

كرّمت اللجنة الخيرية في قرية حصين البحر في طرطوس 68 أسرة شهيد من أبناء المحافظة والوافدين إليها، وذلك في مركز بصيرة للإقامة الموقتة.

وتم خلال فعاليات حفل التكريم عرض فيلم وثائقي بعنوان «حكاية مدينة وادعة» تضمّن بانوراما حول الأزمة منذ بدايتها مجسّدة بطولات الجيش العربي السوري في دحر الإرهاب، والوفاء الذي أبداه أبناء المحافظة باحتضانهم الوافدين من مختلف المحافظات.

كما تضمّن الحفل فقرة فنية قدّمتها الطفلة روان خضر رائدة على مستوى القطر في مجال الغناء بعنوان «موطني»، إضافة إلى فقرة غنائية وعزف على العود للفنان أحمد عبد الحميد بعنوان «الورد والزغاريد».

وعبّر ذوو الشهداء المكرّمون عن فخرهم واعتزازهم بشهادة أبنائهم متمنين أن تكون دماؤهم وتضحياتهم سبيل الخلاص من رجس الإرهاب.

ولفت أمين فرع طرطوس لحزب البعث العربي الاشتراكي غسان أسعد إلى أن صمود أسَر الشهداء منح الوطن المزيد من القوة.

من جهته، قال نزيه منون في كلمته باسم اللجنة الخيرية في حصين البحر إن الشهداء يجسّدون باستشهادهمَ قيم الحياة الأبدية، وإنّ دماءهم مشاعل نور تمحو ظلام الإرهاب البغيض. مؤكداً باسم أهالي القرية السير على نهجهم ومتابعة رسالتهم في الذود عن الوطنّ وحمايته.

بدوره، أوضح العميد عدنان مرهج في كلمته باسم ذوي الشهداء أن أسَر الشهداء الذين قدّموا فلذات أكبادهم من أجل رفعة الوطن وعزّته، مستعدّون لتقديم المزيد من الشهداء والتضحيات في سبيل الوطن.

حضر التكريم رئيس مجلس المحافظة المهندس ياسر ديب وأعضاء قياة فرع طرطوس في حزب البعث العربي الاشتراكي.

إلى ذلك، كرّمت مجموعة «متطوّعون من أجل سورية» عدداً من أسَر شهداء الجيش العربي السوري ومجموعات الدفاع الشعبية من محافظة طرطوس تقديراً لتضحيات أبنائهم في الحرب ضدّ الإرهاب التكفيري.

وتم خلال حفل أقيم في قرية المكيشفاتي التابعة لناحية بيت السخي في صافيتا بحضور محافظ طرطوس صفوان أبو سعدى، وفاعليات حزبية ورسمية ودينية وأهلية، تكريم عدد من أسَر الشهداء في قرى بيت السخي والنقيب وبيت باسط وضهر المشرفة وضهر رجب وبيت شيحان وبيت حجي وبيت الجبل في منطقة صافيتا.

ولفت أمين فرع طرطوس في حزب البعث العربي الاشتراكي غسان أسعد خلال التكريم إلى أن تضحيات الشهداء ودماءهم هي الطريق لتحقيق النصر ودحر الإرهاب التكفيري وإعادة الأمن والاستقرار إلى جميع ربوع الوطن.

من جهته، قال الشيخ عبد السلام الحراش رئيس «التيار العربي المقاوم» في لبنان إن أهل الشهيد هم أصحاب الحق والقضية العادلة، وأن لا صوت يعلو على صوت البندقية الشرعية للجيش العربي السوري الذي يخوض غمار الحرب ضد الإرهاب الدولي.

وأكدت أخت الشهيد علي حامد اسماعيل في كلمة ألقتها باسم أهالي الشهداء أن مسيرة رفاق السلاح مستمرة حتى دحر الإرهاب، وأنّ كل سوري شريف مدعو للعمل من موقعه من أجل عزة سورية وكرامتها وانتصارها في ميادين القتال والعلم والبناء.

وكانت مجموعة «سيدات سورية الخير» والحملة الوطنية لدعم جرحى الجيش العربي السوري قد كرّمتا مؤخراً في مأدبة إفطار خيرية 40 من ذوي الشهداء والجرحى من محافظتي طرطوس وحلب.

القنيطرة

وتقديراً لتضحيات الشهداء في سبيل الوطن، كرّمت محافظة القنيطرة 35 من أسَر الشهداء العسكريين والمدنيين من أبناء بلدة الكوم في ريف المحافظة الشرقي.

وعبّر عدد من ذوي الشهداء عن فخرهم بشهادة أبنائهم في سبيل عزّة سورية وكرامتها، مؤكدين وقوفهم إلى جانب الجيش والقوات المسلحة في مواجهة الإرهاب حتى تحقيق النصر.

ونوّه محافظ القنيطرة أحمد شيخ عبد القادر بالدور النضالي الوطني للشهداء الذين قدموا الغالي والنفيس في سبيل الدفاع عن الوطن والتصدي للتنظيمات الإرهابية المسلحة المرتبطة بأجندات خارجية.

وكانت محافظة القنيطرة قد كرّمت خلال الشهر الحالي 57 من أسَر الشهداء العسكريين والمدنيين من أبناء قرية جبا.